وقد يدخل في النسيب التشوُّق والتذكُّر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة ، والبروق اللامعة ، والحمائم الهاتفة ، والخيالات الطائفة ، وآثار الديار العافية ، وأشخاص الأطلال الدائرة .» [١]

ومن أدل الأبيات في التشويق بآثار الديار – عند قدامة – قول محمد بن عبيد السلاماني :

فَلَمْ تَدَعِ الأَرْواحُ وَالماءُ وَالبِلى مِنَ الدّارِ إلا ما يشوقُ وَيشغفُ [٢]

ولا شكَّ أن الوقوف على الطَّلل قد اكتسب أهمية خاصة ، من حيث كان شكلا مميزًا لمطلع القصيدة القديمة ، وقد رأى الباقلاني أن امرأ القيس هو مبتدع هذا اللون من الأداء الشعري ، وكان فيه نموذجًا يحتذيه مَنْ جاء بعده من الشعراء [٣].

وهذه الأهمية دفعت بعض الدارسين إلى محاولة تفسيره طبقًا لاختلاف مناهجهم وثقافتهم النقدية ، فابن قتيبة يرى أن مقصد القصيد إنما ابتدأ بذكر الديار والدِّمن والآثار ، فبكى وشكا ، وخاطب الرَّبْع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببًا لذكر أهلها الذين رحلوا عنها ، و وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وفَرْط الصَّبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه ؛ لأن التشبيب قريبٌ من النفوس لائِطٌ بالقلوب ، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه ، والاستماع له ، عقب بإيجاب الحقوق ، فرحل في شعره وشكا النَّصب والسُّهر [٤].

---

(١) قدامة : نقد الشعر ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ . (٢) المرجع السابق ، ص ١٢٤ .
(٣) الباقلاني : إعجاز القرآن ، ص ١٥٨ . (٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٧٤ – ٧٦ .